

القتال في إدلب والذعر في أوروبا

وفي الوقت نفسه فإن أردوغان يحتاج إلى الدعم الأوروبي في الوقت الذي يستعد فيه لما يمكن اعتباره لقاء تاريخيا مع نظيره الروسي فلاديمير بوتين الخميس المقبل. وقد انشأ تهديد أردوغان بفتح حدود بلاده مع أوروبا أمام المهاجرين غضب العواصم الأوروبية التي أعادت التذكير باعتماد تركيا على دعمها اقتصاديا وماليا، وأن قبضة أردوغان لم تعد بنفس قوتها.

وفي بيان حادّ للهجة وغير معتاد قالت المستشار الألمانية أنجيلا ميركل إنها يمكن أن تفهم توقع أردوغان المزيد من أوروبا، لكنها ترى أنه من غير المقبول أن يختار أردوغان وحكومته التعامل على "حساب اللاجئين" وليس مع قادة الاتحاد الأوروبي. وأضافت ميركل أنها تعتزم إجراء المزيد من المحادثات مع تركيا بشأن كيفية "الوصول إلى توازن الدعم من الاتحاد الأوروبي".

ويقول مراد هوكاييم، خبير شؤون الشرق الأوسط في المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية الذي يتخذ من لندن مقرا له إن "هناك الكثير من الإشارات والاستفزازات" وراء قرار تركيا فتح حدودها الغربية مع أوروبا أمام اللاجئين، مشيرا إلى التباين الكبير بين الأعداد القليلة للمهاجرين الذين تركوا تركيا وحديث الحكومة التركية المروج عن وجود أكثر من 100 ألف لاجئ يتجهون نحو الحدود الأوروبية.

ومازالت أوروبا بعيدة جدا عن سيناريو أزمة المهاجرين الذين تدفقوا إلى أوروبا عام 2015، وبحسب وكالة بلومبرغ فإن هناك سببا بسيطا وراء عدم رغبة اللاجئين السوريين في المخاطرة بمحاولة عبور حدود الاتحاد الأوروبي التي تدافع عنها اليونان بقوة، وهو أنهم يعيشون حياة شبه مستقرة في تركيا.

الاتحاد الأوروبي يواجه خطر معركة السيطرة على إدلب والتي ستطلق موجة جديدة من اللاجئين الذين يعبرون تركيا إلى أوروبا

ووفقا للتقديرات الرسمية فإن عدد السوريين الذين ولدوا في تركيا منذ لاجئهم السوريين إليها بسبب الحرب الأهلية السورية، بلغ مليون طفل. كما ظهرت أحياء سورية كاملة في مدينة إسطنبول التركية، وأصبح الاقتصاد المحلي لهذه الأحياء يعتمد على الوجود السوري.

ويقول مراد أردوغان، الأستاذ في الجامعة الألمانية التركية في إسطنبول والذي يقوم بدراسات في مجال الهجرة وليست له صلة قرابة مع الرئيس التركي أردوغان، إن أغلب المستجيبين لقرار فتح الحدود التركية مع أوروبا هم من باكستان وأفغانستان وإيران الذين يعيشون في تركيا بصورة غير رسمية، ويواجهون خطر الترحيل وليسوا من اللاجئين السوريين المقيمين بصورة رسمية.

وكان الرئيس التركي رجب طيب أردوغان قال الإثنين الماضي، إن الاتحاد الأوروبي لم يف بالالتزامات تجاه بلاده وإن تركيا لم تعد تريد أمصال الاتحاد التي تأتي متأخرة، مضيفا أن "طالبی اللجوء واللاجئين أحرار في الذهاب إلى أي مكان يرغبون فيه وإلى الدولة التي يريدون الحياة فيها".

ورغم ذلك فإن خطر موجة كبرى للاجئين لم يكتمل طوقه بعد، وسيستجسد إذا ما سقطت إدلب في أيدي قوات الرئيس السوري بشار الأسد، حيث سيدتفق أكثر من مليوني لاجئ سوري جديد إلى تركيا ومنها إلى أوروبا.

بروكسل - يجمع الأوروبيون على أن تهديدات الرئيس التركي رجب طيب أردوغان بإغراق أوروبا بالملائين من اللاجئين إن لم يقدّموا له الدعم اللازم في العملية العسكرية التي أطلقتها أنقرة في إدلب السورية قد تحولت إلى حقيقة.

وسرّعت دول الاقتصاد الأوروبي من وتيرة تحركاتها لقطع الطريق أمام ورقة الابتزاز التي يراهن عليها أردوغان، حيث أجمع قادة التكتل الأوروبي على أن استخدام أنقرة للاجئين عبر فتح حدودها مع اليونان، لممارسة ضغوط على الاتحاد الأوروبي غير مقبول.

وتشير متابعة تجمعات المهاجرين غير الشرعيين على الحدود التركية اليونانية بهدف الدخول إلى اليونان ثم إلى أوروبا، إلى أنهم ليسوا من اللاجئين السوريين وإنما من المهاجرين غير الشرعيين القادمين من دول أخرى مثل أفغانستان وإيران وباكستان والذين يطمون بالوصول إلى أوروبا.

وفرضت قضية الهجرة غير الشرعية إلى أوروبا عبر الأراضي التركية نفسها مجددا على جدول أعمال قادة أوروبا بعد إعلان أردوغان فتح حدود بلاده مع دولتي الجوار الأوروبيتين اليونان وبلغاريا، بدعوى عدم قدرة بلاده على تحمّل تدفق طوفان اللاجئين الجدد القادمين من سوريا، بسبب العملية العسكرية التي ينفذها الجيش السوري للسيطرة على محافظة إدلب.

ويوجد في تركيا حوالي 3.6 مليون لاجئ سوري مسجلين رسميا يملكون حوالي ثلثي إجمالي عدد المهاجرين في تركيا، ومع ذلك فإن عددا قليلا للغاية من هؤلاء السوريين اتجه نحو الحدود الغربية للدخول إلى أوروبا بعد إعلان أردوغان فتح الحدود.

وأكدت وكالة بلومبرغ للأخبار أن الخطر الذي تواجهه حكومات الاتحاد الأوروبي هو أن معركة السيطرة على محافظة إدلب تطلق موجة جديدة من اللاجئين الذين يعبرون تركيا إلى أوروبا، وتحول تهديد أردوغان لأوروبا إلى حقيقة.

ونقلت بلومبرغ عن دبلوماسي أوروبي قوله إن هذا السيناريو يؤكد أن الخطر الحقيقي الذي يهدد الاتحاد الأوروبي لا يوجد على الحدود اليونانية التركية وإنما على الحدود السورية التركية، حيث تتواجه قوات سورية وحكومة إدلب.

وبحسب التقديرات الأوروبية، فإن نجاح الحملة العسكرية التي تشنها قوات الرئيس السوري بشار الأسد المدعومة من روسيا في السيطرة على إدلب يمكن أن يؤدي إلى تدفق أكثر من مليوني لاجئ سوري جديد إلى تركيا ثم إلى أوروبا في ظل تعهد تركيا بعدم الوقوف في طريقهم.

ويقول الدبلوماسي الأوروبي إن ما يجري على الحدود اليونانية التركية حاليا مجرد نموذج بسيط لما يمكن أن يحدث إذا انطلق طوفان لاجئين جديد من سوريا إلى أوروبا عبر تركيا.

وأصبحت روسيا وتركيا اللاعبين الرئيسيين في تحديد مستقبل سوريا بعد قرار الرئيس الأمريكي دونالد ترامب سحب القوات الأميركية من سوريا. وفي غياب حضور أوروبي قوي في هذه الأزمة تشعر أنقرة بأنها تدفع بمفردها تكلفة عالية في سوريا حيث تحارب قوات الأسد. وبفضل الدعم الجوي الروسي لقوات بشار الأسد، فقد الجيش التركي في هذه المعارك 36 عسكريا خلال الأسبوع الماضي ليصل إجمالي خسائره خلال فبراير الماضي إلى أكثر من 50 قتيلًا.

في مواجهة هذه الخسائر، والصمت الأوروبي والأميركي، يرى الرئيس التركي أن أوروبا لا تقدم الدعم الكافي لبلاده التي أنفقت أكثر من 40 مليار دولار على اللاجئين، لذلك قرر فتح حدود بلاده أمام اللاجئين والمهاجرين الذين يريدون الذهاب إلى اليونان المجاورة وغيرها.

طي صفحة سلامة لفتح أخرى تتواءم مع الملف الليبي

توقيت الاستقالة يدشن استراتيجية أوروبية جديدة في ليبيا



فشل على كل الأصعدة

الليبي الذي أضحي قاب قوسين أو أدنى من حسم معركة دخول العاصمة. وتؤكد أنه فرس الرهان الوحيد، فكل الميليشيات تعرّضت للتدهور ما يجعل العملية التي تشرف عليها الأمم المتحدة تنتهي في حجر الجيش الليبي وحده، وتخرج منها حكومة الوفاق، حيث فشلت توجهات سلامة في حمايتها.

وتفاعلت القوى الليبية التي استثمرت في تضخيم دور المبعوث الأممي، ونفخت في التحركات المضاربة الأنياب التي كان يقوم بها، وبعضها لعبت على الأخذ والرد والدخول في حوارات مع من هم غير ذي صفة، ويعتبر عنصر الوقت أحد أهم العوامل التي تستند عليها حكومة الوفاق وكل المتحالفين معها، وتمكّنت من وضع شخصيات متهمّة بارتكاب جرائم وطلوية دوليا في صدارة المشهد، وكان سلامة يتعمّد تجاهل الإشارة إليها إلا في ما ندر.

ويدرك الذين راهنوا على غسان سلامة أن خروجه من اللعبة ينذر بإعادة ترتيب الأوراق، لأن المساحة الحرة التي كانوا يتحركون فيها على وشك الأفول. حيث كان الرجل يدفع دوما باتجاه الرّج بالتيار الإسلامي إلى صدارة الخارطة في طرابلس، لاعتبارات تبدو ديمقراطية، بينما في جوهرها تخدم من يقفون خلفه في هذا الطريق، وغض الطرف عن كثير من الانتهاكات إلا قليلا.

هذا القليل جاء متأخرا بعد أن باتت فضاءات الإرهابيين والمرترقة يصعب مجاراتها، وتجاوزات المجلس الرئاسي والحكومة ومجلس الدولة والمصرف المركزي من المستحيل إنكارها. ووقف العالم شاهدا على السفن التي تسيرها تركيا محملة بالمتشددين والمعدات العسكرية ولم يُشرّ مبعوث الأمم المتحدة مرة واحدة للعبث الذي تقوم به أنقرة.

لعب الضحية

كان من المفترض أن يترجّل سلامة منذ يونيو الماضي، وصدر في "العرب" تحليلا بعنوان "بانظنار مبعوث أممي جديد لتفكيك عقد الأزمة الليبية" نشر في 2 يونيو، لكن جاءه الحديث عن مؤتمر دولي برعاية الأمم المتحدة على طبق من فضة، ليضخ في عروقه دماء جديدة أبقتة حتى انعقاد المؤتمر في برلين 19 يناير الماضي. وقصة الانعقاد بعد تعثر لم يكن لسلامة دور فيها، وساعدت تجاوزات تركيا الصارخة ونوابا روسيا الخفية على جمع شمل مؤتمر كاد ينفطر. مع ذلك حاول سلامة أن يقدّم مسوغات منطقية تظهره في صورة شهيد

برر المبعوث الأممي إلى ليبيا غسان سلامة بعد إعلان استقالته أن أهم سبب دفعه لاتخاذ هذا القرار هو شخصي وصحي، لكن تفاصيل الدوافع الحقيقية تشي بأن الرجل الذي فشل في جل الاختبارات تقريبا، اتخذ موقفه في ضوء نصائح من دعمه سابقا لنيل منصبه في ليبيا، خاصة أن مهمته لم تكن ناجحة بل فتحت الأبواب على مصراعها لتغول المتشددين.

محمد أبو الفضل كاتب مصري

وأبعاد روسيا عنها. وكل المناوشات التي جرت بين باريس وروما لم تخرج عن السيطرة، قد تكون اختلفت في تفاصيل التكتيكات، لكنها حافظت على التماسك في تفاصيل الإستراتيجيات، وكلما اشتدّ الخلاف عاودوا إلى الصواب سريعا. وفرض الاقتراب الروسي التدريجي ضرورة لِمَ الشمل، لأن الخطر واحد ويهدد الجميع.

أماكن صلبة

ينذر رحيل سلامة بأن هناك قواعد سيتم ترسيمها بدقة، من الصعوبة أن تعتمد على مخلفات المبعوث الأممي المستقيل، وتحتاج إلى وجه يستطيع تنفيذها، وهي في مجملها لن تعول على عنصر الوقت، بل من المرجح أن تضرب بقوة في الأماكن الصلبة التي تعوق تسوية الأزمة بالطريقة التي تتراح لها الدول الغربية.

رحيل سلامة ينذر بأن هناك قواعد سيتم ترسيمها بدقة، لن تعتمد على نهجه وتحتاج إلى شخص يستطيع تنفيذها

وتكشفت بعض المصادر، لـ"العرب"، أن هذا الاتجاه يفضي بالتخلي عن إدارة الأزمة عن بعد، وإيجاد وسائل يمكن أن تزيد من الانخراط الأوروبي قبل أن يتحول الدور الروسي إلى رقم محوري في المعادلة، وقد يأخذ الأمر شكلا عسكريا، ويعيد تكرار سيناريو سوريا، مع اختلاف في بعض التفاصيل. وأضافت أن مقتل عدد من الجنود الأتراك في ليبيا عقب عمليات عسكرية دقيقة سقطت بفعلها طائرات مسيرة تابعة لتركيا، ربما يكون له علاقة بالضغوط التي تمارس على أنقرة في إدلب، ويعني أن التيار الذي تدعمه عرضة لمزيد من المعاناة.

وطغى الإعياء على القوى السياسية والعسكرية في طرابلس بعد أن تعرّضت لضربات قاصمة من قبل الجيش الوطني

القاهرة - لم يشدّ غسان سلامة المبعوث الأممي إلى ليبيا والذي قدم استقالته الإثنين عن سابقه الخمسة ممن تولوا المنصب نفسه، حيث ترك الأخير الأزمة أشدّ تعقيدا بعد أن جرب كل الحيل والمناورات والانهيازات.

غادر سلامة موقعه بإرادته في الظاهر بما يوحي بالاختلاف عن سابقه الذين دفعوا للمغادرة، غير أن الحقيقة تشير إلى عدم الاختلاف، فقد رسب المبعوث الأممي في الاختبارات التي أتاحت له، لذلك أمره أو نصحه من دعمه ليصل إلى منصبه، فرنسا وبريطانيا تحديدا، بالتخلي عنه.

ويؤكد توقيت الاستقالة أن مرحلة أوروبية جديدة حاسمة سيبدأ تفعيلها في التعامل مع الأزمة الليبية. ولن يستطيع سلامة التكيف معها أو امتلاك القدرة على تطبيق مفرداتها، فالتحركات التي قام بها وأسهمت مباشرة في تغول المتطرفين والجماعات الإرهابية، وأدت إلى فتح الأبواب والنوافذ للتدخل التركي لم تعد مجدية، أو بمعنى أدق استنزفت أهدافها وأصبحت خارج نطاق الصلاحية.

تستلزم بعض التطورات طي الصفحة الماضية وفتح أخرى تتواءم مع رياح عاتية مقلبة لا تصلح معها الدبلوماسية الناعمة، وهو ما يتناهى سلامة ومعاونوه، حتى مهدوا الطريق لتغول المتشددين في مفاصل السلطة بطرابلس، وأبقوا على الأجسام السياسية التي خرجت من رحم اتفاق الصخيرات بحجة أنها تحظى بشعبية دولية، ولو لم تحصل على شرعية محلية.

قادت الهندسة السياسية المبالغ فيها إلى تهديد الطريق أمام روسيا لتضع قدمها في الأزمة بعد طول انتظار. لسواء تم ذلك بالتنسيق مع أنقرة أو بعيدا عنها، ففي الحالتين يمثل اقتراب موسكو من جنوب البحر المتوسط تحديا متعاظما للدول الغربية.

أدارت فرنسا وبريطانيا وإيطاليا والولايات المتحدة الأزمة خلال السنوات الماضية على أساس التحكم في مفتاحها